

للشاعر الإسلامي عمر بهاء الدين الأميري :التصوف في ديوان مع الله  
الأستاذة: زهيرة بنيني  
جامعة باتنة - الجزائر

لقد تزاومت التيارات المادية في الواقع الحديث مما جعل الاتجاه الديني خاملا و متجمدا فاقتضت الظروف الاهتمام به ليظهر من يحمل العقيدة و ينشأ أدبا إسلاميا ذا نزعة روحية سامية، فكانت الأصوات متعددة منبثقة من نواحي عديدة تريد إيصال الأمل الصادق فأشرقت هذه البارقة في سوريا من الشاعر عمر بهاء الدين الأميري إن الأميري يسعى في هذا الديوان إلى السمو الإلهي و الصفاء الروحي، هذا ما يدعونا للبحث في أقاصي قصائده عن تقاطعه مع أفكار و أخلاق المتصوفة. و نحن نبحت إن كان الأميري قد تحلى بصفات هؤلاء. و لعل التصوف يعد بابا للعروج إلى الحضرة الإلهية، ليتجلى له الصفاء. و لهذا اعتبر التصوف: ((ظاهرة دينية فريدة لتربية المسلمين تربية ذوقية وجدانية تمس القلب و الروح قبل الجوارح و الأعضاء، فهو يرتبط بالمجاهدة و الرياضة و الأحوال و المقامات، فهو روح جديدة يمزجها بالعاطفة الدينية المؤسسة على أعمال القلوب، و تنحصر هذه الأعمال في التصديق و الإيمان و اليقين و الصدق و الإخلاص و المعرفة و التوكل و المحبة و الشوق و الوجد))<sup>١</sup>

إن الأميري قد تزود بتربية روحية ساعدته على اجتياز أبعاد الواقع ليكشف أسراراً خفية، لأنه متزود بمبادئ الإسلام لهذا: ((تجاوز البصر إلى البصيرة فترى بعينها الثاقبة المتزودة بنور الله ما لا يمكن للعلم بأرقامه و قوانينه الأرضية أن يراها ... فالواقعية الإسلامية هي الرباط السليم المتوازن الذي يجمع بين الأرض و السماء، بين الطبيعة المحسوسة و الطبيعة غير المحسوسة))<sup>٢</sup>

إنه توحد بين الواقع و العقيدة، التي تسمح للشاعر بالتزود برؤية شاملة و واقعية، فينظر للحياة نظرة مغايرة لأجل هدم الظاهر و اختراقه للوصول إلى جوهر الأشياء هذا بجرأة فنية و طريقة جمالية نابعة من ذلك الإيمان الصوفي للشاعر الذي تفاعلت معه تلك الروح السامية و الواقعية المادية ليصهرها فيعطي عملا إبداعيا فيقول في قصيدة شهود:<sup>٣</sup>

خلني أسرح في البون البعيد  
خلني أطلق روعي من حدودي  
خلني أسري بأطواء الليالي  
خلني أشتف أضواء الوجود

إنها تجربة عنيفة جعلت من الشاعر إنسانا تأثرا على قيود الواقع ساعيا إلى الحرية من خلال كلمة ((خلني)) المكررة في كل بيت من القصيدة. فمن العنوان شهود تتجلى لنا تلك المحاكاة للشهود الصوفي و الذي يقول عنه ابن عربي هو: ((المشاهدة في ذاتها هي رؤية في الأصل و هي سبيل للمعرفة))<sup>٤</sup>. لهذا فالشاعر يحاول الخلاص من مادية

الواقع المعيشي و السمو بعقله و روحه لمعرفة أسرار الكون حتى يرسم طريقا لرؤية  
الله في كل ما يحيط به:٥  
رأيتك في ضحكي و البكا  
رأيتك في الليل محلوكا  
رأيتك مثل الذي تبتغي  
جهارا و لكن بالأنكا  
رأيتك تشرق في خلقكا  
فيبترز روعي سنا وجهكا

من المشاهدة رسم لنا الشاعر رؤية نابغة من نظراته الثاقبة للوجود فكانت ((رؤية  
الأشياء بدلائل التوحيد و رؤيته في الأشياء و حقيقتها اليقين من غير الشك))٦. لقد رآه  
تعاليت هذا العالم و في كل ما يحيط به في هذا الوجود لأنه: ((فيض إلهي متى ما  
تعاليت عن المعرفة الجزئية و تحررت من عوائق الحس و ارتقيت إلى المعنى تمكن  
العقل من استلهام نور العلة الأولى؛ فسمو النفس الإنسانية يستمد من سمو الله، فجماله من  
جماله))٧. إنها خواطر تحملنا إلى إدراك ذلك الجمال الروحي و الرؤية السامية  
للشاعر. فمن خلال فعل رأيتك المتكرر يحملنا في رحلة صوفية تعيدنا مرة أخرى إلى  
: حالة من حالات الشهود ألا و هو الفناء  
فأيقنت أن الفنا بالأنا  
و أن بقائي فنائي بكا

يتضح لنا التقاطع مع المتصوفة في طريقة الفناء و البقاء المنسوبة إلى المنزلة العليا  
الحقة. إنه يسعى بعبادته إلى الفناء في الله حتى يحقق الخلود و يضمن البقاء معه, لأن  
البقاء لا يزول كونه صفة إلهية , و الفناء ها هنا قد تحقق عن طريق وحدة الشهود التي  
رأيناها من قبل لأنه لم يشاهد إلا الله فكما ذكر القشيري في رسالته: ((إذا أراد الله تعالى  
أن يوالي عبدا من عبده فتح عليه باب ذكره, فإذا استلذ الذكر فتح عليه باب القرب, ثم  
رفعه إلى مجالس الأنس ثم أجلس على كرسي التوحيد ثم رفع عنه الحجب و أدخله دار  
الفرذانية, و كشف له عن الجلال و العظمة فإذا وقع بصره على الجلال و العظمة بقي  
بلا هوى, حينئذ صار العبد زمنا فانيا فوقع في حظه سبحانه و برئ من دعاوي  
لنفسه))٨. لقد تخلص من كل الشهوات حتى يحقق الفناء و يبقى في الروضة الإلهية  
فيتجلى نوره بعد هذه الرحلة السرمدية و تنغرس أغنية قدسية بتراتيل و ضاءة تشع  
بقبس إلهي في سراديب روحه المظلمة, و هنا يكون: ((الحجاب قد زال حيث يبدو النور  
الإلهي أو يتجلى الله بنوره و تتجلى معه الأنوار الإلهية, الله نور و إشعاعاته هي  
المخلوقات و كل كائن بوصفه صدورا عن الله))٩. فبالنور يهتدي و به يرتقي إلى  
ملكوته ليكتشف أسرار غامضة كان يجهلها, إنه الشعلة التي تنيره بالإيمان و الصفاء  
الروحي ليظهر الحب الإلهي الذي يعانق به الشاعر العالم الخفي لأن: ((المحبة هي قوام

كل شيء في المنهج الصوفي، فالكون خلق بالحب و يدرك بالحب و الله جل جلاله لا تدركه الأبصار و لا تحيط به العقول و لكن الصوفي يوقد مشاعل الحب في قلبه و وجدانه فيمتطي بذلك المعراج الأكبر الذي يصله بربه)) ١٠. فكان هذا الحب تجربة ذاتية فيها اتصال روحي : ١١

سار في تناجي القلوب بالحب روح  
فيه للروح و الحشا خير قوت  
في صفوة و نشوة و هناء  
و انطلاق من الأسى المكبوت

يتحدث عن الحب النابع من أعماق الوجدان، الحب الذي يتغنى به صاحبه فيجعل كل ما في الكون يرقص على رناته الصافية فيعانق بها تلك الخلجات المكبوتة المندفعة من الحشا؛ من لازوردية الروح أين يتقاطع الحب الصوفي مع الأنس الإلهي حيث لكل منهما: ((استقلالية ذاته؛ الخالق خالقا و المخلوق مخلوقا فضاءات ترفع الإنسان إلى مستوى آخر غير المستوى الطيني الذي خلق منه تعيده إلى الملكوت)) ١٢. تتجلى المناجاة الإلهية التي تنبثق من أعماقه متخطيا الواقع المادي المزيف منعقبا من قيود الجسد لأن: ((المتصوف حين يجاهد لتحرير جسده من الخارج فإنه يجاهد لتحرير جسده أيضا من الانسحاب إلى داخل الذات، فيسعى إلى الحضرة الكلية فيشهد جسده في الجسد الكوني و يقاوم انفصال الذات عن الجسد فيجعل منه معبرا لمقاومة النفس)) ١٣. و يستمر الشاعر في السير على هذا الطريق الرباني الذي انطلق من يقينه لأجل الاستمرار في هذا الحب المتولد في غياهب فؤاده حيث تفاعل مع تجارب الصوفيين في تحقيق صلتهم بالرب فاستقام مسلكهم. ويهيم في الوجود باحثا عن الفناء الروحي فيحترق شوقا للحظة القرب منه ليصل إلى المجاهدة المنطلقة من غور إيمانه فيتخلى عن آمال نفسه التي تربطه بغواية الأرض محاولا الوصول بها إلى الأعلى فيتخلص من كل الهفوات و يعصمها من الأخطاء: ١٤

إن الجهاد حصانة و متانة  
وصيانة في عزمة وإباء  
إن الجهاد أمانة و رجولة  
و من الجهاد كياسة الحكماء  
إن الجهاد تقى القلوب و عفة  
المضطر رغم لاجاة الإغراء

إنه الجهاد في سبيل الله و استنشاق لتلك النفحات الإلهية حيث يتزود بالتقوى في فوضى الحياة و يتحلى بالسلوك الإيماني و يتزين بالعفاف، و لهذا اعتبر الجهاد رياضة لأنها: ((هي الخروج عن طبع النفس و هي عبارة عن تهذيب الأخلاق النفسية فلما رأت عقول أهل الإيمان بالله تعالى أن الله قد طلب منها أن تعرفه بعد أن عرفته بأدلتها

النظرية، علمت أن ثم علما آخر بالله، لا تصل إليه من طريق الفكر فاستعملت الرياضات  
و الخلوات و الجلوس مع الله بتفريغ المحل و تقديس القلب عن شوائب الأفكار و  
اتخذت هذه الطريقة من الأنبياء و الرسل)) ١٥  
لقد تحاور مع هذه الطريقة الروحانية التي تعد بمثابة العلاج لبعض الأهواء النفسية  
متقربا إلى الله رغبة في الارتقاء إلى العالم العلوي منشدا النور الإلهي ليعطيه قوة حتى  
يكون التواصل و يكون التمرد على الحياة المادية باحثا في ملكوت الرب عن الراحة و  
الخلود: ١٦

للليل في ظلّمته داجي  
والفجر في إشراقه أفصح  
فكان للألباب معراجا  
أسرى بها نحو السنا الأوضح

لقد تحاور مع الصوفية في العروج إلى الله من خلال الارتقاء إلى أعالي السماء بحثا  
عن الصفاء و السمو الروحي فتتراءى له وحدة ملتحمة بين شعوره الذاتي و الشعور  
الروحي النوراني .  
في الأخير نلاحظ بأن الشاعر الإسلامي عمر بهاء الدين الأميري قد حقق محاورة مع  
السلوكات المختلفة للمتصوفة فاستخرج دلالات عميقة عمق التجربة الروحية التي مر  
بها نستقرئها بين السطور الشعرية لترسم لنا صورة الحب الإلهي و الفناء فيه و  
المجاهدة ليصل إلى الارتقاء و العروج، فكان التصوف إحدى المدارات التي أثبتت ثقافة  
الشاعر المعبرة عن ومضاته الإيمانية و الفكرية مما أنتج لنا رؤية صوفية تتوافق مع  
رؤيته الشعرية تفوح بشذى نوراني و من هنا استطاع أن يعبر عما يجيش في نفسه من  
أحاسيس و ما يجول في خاطره من أفكار فكانت كل كلمة فيه تعبير عن الإشراق الذي  
يملأ بفيضه نفسه الخيرة

الهوامش:

- د. محمد جلال شرف الدين، دراسات في التصوف الإسلامي، شخصيات و مذاهب، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٠، ص- ١-  
٢١  
د. أحمد بسام الساعي، الواقعية الإسلامية في الأدب و النقد، دار المنارة للنشر، السعودية، ط١، ١٩٨٥، ص١٧-٢  
عمر بهاء الدين الأميري، مع الله، دار الفتح، بيروت، ط٢، ١٩٧٢، ص٥٢-٣  
سعاد الحكيم، المعجم الصوفي، دندرة للطبع و النشر، ط١، ١٩٨١، ص٦٦٢-٤  
سعاد الحكيم، المعجم الصوفي، ص٦٦٣-٦٦٤، عمر بهاء الدين الأميري، مع الله، ص٥٢-٥  
محمد نور الدين أفاية، الاهتمام بالجمال عند التوحيدي، مجلة فصول أبو حيان التوحيدي، الجزء ٣، مجلد ١٥، ص- ٧-  
عدد ١، ربيع ١٩٩٦، ص١١٩  
د. محمد جلال شرف الدين، دراسات في التصوف الإسلامي، شخصيات و مذاهب، ص٢٨٦-٨  
أدونيس، الصوفية و السريالية، دار الساقي، بيروت، ط١، ١٩٨٨، ص٣٢-٩  
طه عبد الباقي سرور، من أعلام التصوف الإسلامي، مطبعة نهضة صر، القاهرة، ص٦٥-١٠  
عمر بهاء الدين الأميري، مع الله، ص٥٩-١١  
سارة آل سعود، نظرية الاتصال عند الصوفية، دار المنارة للنشر و التوزيع، جدة، السعودية، ط١، ١٩٩٥، ص٣٤-١٢  
شاكِر عبد الحميد، حلم عابر و جسد مقيم، قراءة في نماذج من شعر عبد المنعم رمضان، مجلة فصول مجلد- ١٣  
عدد ٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، صيف ١٩٩٦، ص٢١٣، ١٥

عمر بهاء الدين الأميمري, مع الله, ص ١٧٥ - ١٤  
سعاد الحكيم, المعجم الصوفي, ص ٢٥٤ - ١٥  
عمر بهاء الدين الأميمري, مع الله, ص ٨٨ - ١٦

---

. المصدر: موقع رابطة ادباء الشام

<http://www.odabasham.net/show.php?sid=٨٥٩٠>